الأهرام

المصدر :

التاريخ :

# الثقافي العربي وجمهورية غزة.أريحا

**● اليوم يصمت القسم الاكبر من المثقفين العرب، وهم موزعون بين الحيرة وعدم التصديق والاستنكار، وقليلون جدا هم الذين دعوا إلى هذا الاتفاق مسبقا**

الاتفاق الاسرائيلي ـ الفلسطيني الذي احتفل العالم العربي وقسم من الرأي العام العربي والاسرائيلي بالتوقيع عليه امس سيحدث آثارا مهمة وكبيرة وخطيرة في الحياة السياسية والثقافية العربية. فالمرحلة التي بدأت امس في واشنطن لن تشبه المراحل الزمنية التي سبقتها، بغض النظر عما ستحمله المرحلة الجديدة من معطيات سلبية او ايجابية.

ولكن آثار الاتفاق في الحياة الثقافية العربية اكبر. وأهم. وأخطر من تلك التي سيحدثها في الحياة السياسية العربية. فالمسافة التي كانت تفصل الوضع السياسي العربي قبل الاتفاق عنه بعد الاتفاق تبدو قصيرة جدا نسبيا بالقياس الى المسافة الهوة التي ستفصل الوضع الثقافي والخطاب الثقافي العربي قبل الاتفاق عما ال وسيؤول اليه بعد الاتفاق.

فاقامة «جمهورية غزة ـ أريحا» بديلا واقعيا عن الحلم الفلسطيني يشكل بالتأكيد هزيمة ساحقة للثقافي العربي امام السياسي العربي. فالثقافي العربي (المثقف والنتاج والارث الثقافي) ظل منسجما مع الاسترسال التاريخي المتراكم، مع المبادئ والمنطق الذي قام عليهما. وظل وفيا لهما، لم يتخل عن الحلم والامل في ان تتغير المعطيات ومعادلات القوة في الواقع. وبينما وجد السياسي في الانتفاضة ورقة يدعم بها موقفه في المفاوضات التي بدأت منذ كامب ديفيد ولم تتوقف ابدا، فان الثقافي استمد من الانتفاضة عنصر إلهام جديد يبرر به استمرارد في التمسك بالحلم التاريخي ـ الجغرافي معتقدا ان الانتفاضة ستخلق ديناميكية تغيير لا في علاقات القوة الغربية ـ الاسرائيلية فقط، بل كذلك في المعطيات الداخلية للواقع العربي.

ومع ان السياسي والثقافي العربيين يسيران منذ سنوات عديدة في خطين متباعدين الى درجة التوازي التي لا تسمح لهما بالتلاقي، فان هذا التباعد والتوازي لم يتحولا الى تناقض صراعي. فالثقافي لم يكن قادرا على خوض صراع مع السياسي، كان يعاني ازمة ذاتية ناتجة عن علاقته السلبية بالسياسي. علاقته المسالمة التي افرزها الخوف والاغراءات والاسترسال وراء تحسين شروط الحياة اليومية المادية، والخوف من تحمل مسؤولية اثارة السياسي ضده، وما يحمله ذلك من شبح العقاب الذي يمكن ان يوقعه به، والذي وقع بالفعل على بعض الشرائح التي تمردت.

لقد كانت سلبية الثقافي امام السياسي سلبية انتهازية لم تلغ امكانيات التصدي فقط وانما غيبت كليا اي طموح ذاتي في ان يؤثر الثقافي على السياسي. وهكذا على الرغم من الاختلاف الواضح في مساريهما فان علاقة الثقافي بالسياسي تحولت الى علاقة تبعية عملية من دون ان توصل التبعية الى حالة التطابق والانسجام مع خطاب السياسي وفعله.

والحقيقة ان الثقافي تخلى عن دوره المؤثر في السياسي منذ عشرين عاما وثلاثين عاما واكثر.

واليوم يصمت القسم الاكبر من المثقفين العرب وهم موزعون بين الحيرة وعدم التصديق والاستنكار، وقليلون جدا هم الذين دعوا الى هذا الاتفاق بقوة مستمدة من الاتجاه الذي نحته تطورات الواقع، بقوة تحولت على لسان هذا القليل الى خطاب ارهابي ضد الاكثرية بحجة الواقعية وتحت شعار موقف القيادة الفلسطينية التي التجأ اليها الرأي الآخر ردحا طويلا من الزمن باعتبارها «حيز قومي» يعوض عن الحيز المحلي الذي يتحرك فيه.

والسؤال الذي يجب ان يطرح اليوم ما هو حال الثقافي العربي في المستقبل القريب بعد ان تحول التناقض بينه وبين الواقع وبينه وبين السياسي الى شرخ كبير يصعب سده من دون إحداث انقلاب جذري يهدم هذا التراكم المهم من المبادئ والخطاب والنتاج الابداعي الثقافي، اي من دون العودة الى نقطة الصفر الثقافية، نقطة محو الذاكرة القديمة وصنع ذاكرة جديدة.

**قصي صالح الدرويش**

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية